

جدل المفارقة بين الفلسفة والعلم

د. دعاء حسني حسن أبوجبل

مدرس منتدب

كلية الآداب جامعة الوادي الجديد

تمهيد:

هناك فكرة شائعة عند البعض بأن الفلسفة لا علاقة لها بالعلم، ولا علاقة للعلم بالفلسفة، وهذا الموقف الذي يتبناه البعض يقارن بين الفلسفة والعلم، حيث يحقق العلم تقدماً مطرداً وتطبيقات نافعة، ولكن الفلسفة في نظر هؤلاء لم تحرر أي تقدم يذكر، وليس لها تطبيقات عملية، فالفيلسوف منحصر فقط في عالم التساؤلات، والتأملات المجردة، وصياغة التصورات، والأطروحات النظرية، ولذلك يرى هؤلاء أن العلاقة بين الفلسفة والعلم علاقة متباعدة.

ولقد درجت التفرقة بين الفلسفة والعلم على أساس إختصاص أولاهما بالنظر العقلي المجرد، بينما ثانيهما يختص بالعلوم التجريبية التي تعتمد الملاحظة والتجربة سبباً لها؛ إذ يميز "اللانند" بين العلم والفلسفة على أساس أن العلوم تدريجية، والعلوم تتنامى وتطرد بتوسيع مجالها، أما الفلسفة فهي بخلاف ذلك منغلقة في دائرة مسائل تظل جوهرية هي نفسها ولكن بصور مختلفة، ويكون طابعها المشترك هو عدم قدرتها على الخضوع لرقابة الإختبار^(١).

إذن فالتفرقة بين الفلسفة والعلم ترتكز بالأساس على أن العلم يتقدم ويتسع نطاقه بازدياد الحقائق التي يحصل عليها، في حين تظل الفلسفة محصورة في دائرة واحدة من الحقائق، وإن كانت الصور التي تعبر عن هذه الحقائق مختلفة ومتفاوتة^(٢).

ولكن مجال فلسفة العلوم بمثابة دليل واضح على متانة وقوة الارتباط بين الفلسفة والعلم، فالفلسفة حركة نقدية تحليلية لمبادئ، ومفاهيم، ومناهج العلم، وتطرح الفلسفة العديد من التساؤلات في مجال العلوم المختلفة، كما أن الفلسفة في محاولة فهمها للعقل والنفس كانت تكشف للعلم عن طبيعة العقل الذي هو أداة من أدواته التي يستعين بها على ضبط المشاهدات والتجارب، والذي أصبح اليوم ضمن دراسة علم النفس... وغيرها من المجالات.

فالعلاقة بين الفلسفة والعلم علاقة تكاملية بالرغم من اختلاف طبيعة كل منهما عن الآخر، ويجب علينا احترام هذا الاختلاف بين طبيعة الفلسفة والعلم، فهذا الاختلاف يجب ألا يؤدي إلي تعارض أو صدام، فالفلسفة شمولية تنظر للكون بنظرة شمولية كلية، أما العلم فهو رؤية متخصصة جزئية، لذا تتناول الباحثة في هذه الدراسة جدل المفارقة بين الفلسفة والعلم، والعلاقة بين الفلسفة والعلم.

١- أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، منشورات عويدات، بيروت- باريس ط١، ١٩٩٦، ص ٩٨١.

٢- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، ج ٢، ط١، ١٩٧٣، ص ١٦١.

تساؤلات الدراسة:

- ١- ما المقصود بالمفارقة؟
- ٢- ما الاتجاه المؤيد لأهمية الفلسفة للعلم؟
- ٣- ما الاتجاه المعارض للفلسفة وأهميتها؟
- ٤- هل العلاقة تكاملية بين الفلسفة والعلم؟
- ٥- ما فلسفة العلوم، وما أهميتها؟

أهداف الدراسة:

- التعرف على ماهية المفارقة.
- التعرف على الاتجاه المؤيد لأهمية الفلسفة للعلم.
- التعرف على الموقف المعارض لأهمية الفلسفة للعلم.
- التعرف على العلاقة التكاملية بين الفلسفة والعلم.
- أهمية فلسفة العلوم.

مفهوم الجدل:

الجدل بالمعنى اللغوي هو اللدد في الخصومة والقدرة عليها، وجادله أي خاصمه، مجادلة وجدالاً، والجدل هو مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة هي المناظرة والمخاصمة، أما معنى الجدل اصطلاحاً فهو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وهو دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بالحجة.

مفهوم المفارقة (Paradox):

المفارقة لغوياً تشير إلى التفرق، والتفرع، والفصل، والتباعد، والتباين، والتمييز بين شيئين، أو أمرين، أو موقفين، ومدار المعنى اللغوي للمفارقة محصور في الافتراق والاختلاف، لذلك هي تكون نقيض الجمع والإجماع.

ولم يحدد مفهوم المفارقة على تعريف واحد، أو رؤية ثابتة من شأنها أن تكون إضاءة واضحة لبيان هذا المفهوم ومعناه، والمعنى اللغوي للمفارقة تتوفر فيه عدد من الأمور، مثل التضاد، والثنائيات التي تقدم خلاصة موازنة ومقارنة بين حالتين في تضاد واختلاف، وهي ثنائيات تحمل دلالات وتقع فيها معانٍ كثيرة.

أما المفارقة اصطلاحاً فهي شكل من أشكال النقيضة، وفقاً لرأي شليجل Schlegel (١٧٥٤ - ١٨٤٥)، والنقيضة شرط لا بد منه للمفارقة، فهي روحها ومصدرها ومبدأها، ولهذا

فهي تعني إدراكنا لحقيقة أن العالم في ماهيته متناقض ظاهرياً، والمفارقة برهان منطقي يعكس تناقضاً معيناً من جملة التناقضات التي لا سبيل إلي تجاوزها أو التغلب عليها، في حين ينظر البعض الآخر إلى المفارقات كدليل، صعوبة التوفيق بين تصورات العقل الخالص، ومعطيات العالم العيني^(١).

وكلمة بارادوكس (Paradox) من الاغريقية، وتتكون من شقين، الأول (Para) بارا أي (جانب، فارق، جاوز)، والثاني (doxa) دوخسا وهو (اعتقاد)، وتعني حرفياً ما جانب، أو فارق، أو جاوز، الاعتقاد العام أو الحس السليم. البارادوكس أو المفارقة، عموماً، هي أي، عبارة أو مجموعة من العبارات تبدو في الظاهر متناقضة أو عبثية المعنى. هذه العبارات تتطوي على ما يثير التأمل، والفلاسفة يعتقدون أنها تساعد في تجلية بعض جوانب عملية التفكير لما طرحه من معضلات منطقية ومعرفية مثيرة لإعمال الفكر، وبعض فلاسفة المنطق يرى في المفارقة وسيلة لكشف ما إذا كانت العبارات تعاني من خلل كامن في منطق تعليلها أو فرضياتها.

الاتجاه المؤيد لأهمية الفلسفة للعلم:

لقد أضحى العلم مجالاً من النشاط البشري وظيفته صياغة المعارف الموضوعية عن الواقع، وتصنيفها، وتنظيمها نظرياً، وهو أحد أشكال الوعي الاجتماعي، الذي يشمل النشاط الهادف والوصول إلى معرفة جديدة^(٢)، وقد أدى التطور العلمي في العصر الحديث وانفصال العلوم عن الفلسفة إلى التشكيك في قيمة الفلسفة، وهذا أدى إلى اختلاف وجهات النظر بين من يعتقد أن للفلسفة قيمة، وبين من يؤكد خلاف ذلك، أي أن الفلسفة ليس لها أي قيمة بالنظر إلى نتائج العلم، وعلى هذا الأساس ظهر السؤال المثير للإشكالية بين الفلسفة والعلم: هل الإنسان بحاجة للفلسفة في ظل هذا التقدم العلمي؟.

ويرى أنصار الفريق الأول وهو الفريق المؤيد للفلسفة، بأن الفلسفة ضرورية ولها من الأهمية ما يجعلنا نقر باستحالة رفضها، حيث يعتقد هؤلاء أن التفكير الفلسفي لا يمكن الاستغناء عنه، ومن ثم وجب الاعتراف بأهمية وقيمة وضرورة هذا التفكير، لأنها في الأصل مرتبطة بمخاطبة العقل البشري، إذ لا يمكن الاستغناء عنها، ومن ثم وجب أن نتفلسف في كل حين، وما يثبت أهمية الفلسفة هي بحثها فيما يعجز عنه العلم، فإذا كان العلماء يبحثون في العالم المادي، فإن الفلاسفة يبحثون في الجانب الروحي والمعنوي كالبحت في الأخلاق، والقيم... الخ.

١- أثير محسن الهاشمي: آلية المفارقة (تعريفها، أنواعها، طريقة بنائها)، مجلة ثقافتنا، بغداد، ٢٠١٣، ص ٤٧.
٢- علي أحمد الصباحي: مفهوم وحدة العلوم في فلسفة كل من أوتونويراوث وكرناب، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٩٥، ص ٢٦٦.

وفى الفكر القديم حينما كانت العلوم أجزاءً من الفلسفة، لم تكن الصلة صلة جزء بكل وحسب، وانما كانت صلة اهتمام من الفلسفة الأولى، بتحليل وتبرير المبادئ والمسلّمات التي تقوم عليها العلوم، وفى الفكر الحديث بعد أن استقلت العلوم شيئاً فشيئاً عن الفلسفة، ظلت تلك الصلة قائمة ولكن بطريقة مختلفة؛ إذ اهتمت الفلسفة بالتعرف على مناهج العلوم، أو طرق التفكير التي كفلت للعلوم تقدماً مطرداً، فنشأ فرع فى الفلسفة يهتم بالدراسات المنطقية وهو الميثودولوجيا، أو مناهج العلوم، وفى الفكر المعاصر، تجاوزت الصلة بين العلم والفلسفة تلك الحدود، فنشأت فى العلوم نفسها حركات نقد ذاتى لبنائها العلمى من داخله، لاختبار الأفكار، والمبادئ، أو الأسس التي يقوم عليها البناء، وبيان الارتباط بينها، وبين قضايا العلم ونظرياته المشتقة منها^(١).

وبالرغم من ذلك يضطر العلم النامى بشكل دائم أن يدخل فى نظرياته مفاهيم ذات بعد فلسفى، ويسعى إلى تعريف هذه المفاهيم تعريفاً دقيقاً فى حدود طريقته الخاصة، ويسعى بذلك إلى تحاشي أي مناقشة فلسفية، غير أن العلم بهذا الأسلوب قد يضمّر فلسفة خفية لا يعترف بها^(٢).

فالمسائل الفلسفية للعلوم هي قيادة العلم وتوجيهه نقداً وتقويماً، بمختلف جوانبه القبلية والبعديّة، حيث إنها تشمل ما يشار إليه بفلسفة العلوم، ومناهج البحث فى العلوم، أو الميثودولوجيا، وعن حاجة العلم الدائمة إلى الفلسفة فيبينها العالم الفيزيائى (لوى دى بروى) بقوله: "يضطر العلم النامى بشكل دائم أن يدخل فى نظرياته مفاهيم ذات بعد فلسفى مثل مفهوم الزمان، والمكان، والموضوعية، والسببية، والفردية وغيرها، ويسعى إلى تعريف هذه المفاهيم تعريفاً دقيقاً فى حدود طريقته الخاصة"^(٣).

ومما لا شك فيه أن مجرد التفكير فى المبادئ والطرق الخاصة بعلم من العلوم ليس فلسفياً بالضرورة، إلا أن التوغل فى هذا الاتجاه وتعميقه سيولد حتماً فى كل علم مسائل لن يودى تناولها من قبيل العلماء وحدهم إلى التفاهم السريع، بل إلى مناقشات حادة، تضعهم بالنهاية على مستوى التفكير الفلسفى، ومهما يكن الأمر فإن ثمة مسائل تدخل فى إطار التفكير الفلسفى، وهذا يفسر لنا ظهور خلافات بين العلماء ليس من الممكن فهمها إلا إذا وضعت فى إطار الصراعات الفلسفية، فالعلم يطرح باستمرار مسائل إبستمولوجية تؤلف جزءاً من المسائل الفلسفية للعلم^(٤).

1- http://www.maaber.org/issue_october17/epistemology1.htm.

٢- عزت السيد أحمد: دفاع عن الفلسفة (الفلسفة ثرثرة أم أم العلوم)، دار الأصالة للطباعة، دمشق، ص ٥٦.

٣- نايف بلوز: مناهج البحث فى العلوم الطبيعية، مطبعة الإنشاء، دمشق، ١٩٨٥، ص ٢.

٤- المرجع نفسه، ص ٨٨.

والفيلسوف منذ ولادة العلم الحديث لم يعد يتدخل في المعرفة العلمية في حد ذاتها،
فالفيلسوف حين يعالج مشكلات علم الفيزياء مثلاً، لا يستهدف من البحث كالعالم، نتائج هذه
المعرفة، بل شروط ومقتضيات عملية المعرفة الفيزيائية ذاتها، والصلة القائمة بين المعرفة
الفيزيائية والواقع، وصلاحيية المعاني والمفاهيم المستخدمة في العلم^(١).

لذلك يقول هيجل: "إن الدفاع عن الفلسفة هو الدفاع عن الإنسان"، وهذا يعنى أن كل
التساؤلات التي لم يكن في مقدور العلم أن يبدي رأيه فيها، أو يجد إجابة عنها كانت الفلسفة
تتصدى لها، ويتمثل دور الفلسفة الحقيقي في تغيير العالم وليس تفسيره فحسب، فالأفكار
الفلسفية هي بداية لمختلف الثورات التي حدثت في العالم، ولعل هذا ما دعت إليه الآيات
الكريمة: " أفلا يعقلون " " أفلا ينظرون " " أفلا يتفكرون " كما نذكر الدور الكبير الذي تقوم
به الفلسفة والمتمثل في تغيير أوضاع الإنسان والمجتمعات، فكل المجتمعات المتطورة
تاريخياً وعلمياً تكون منطلقاتها أفكار فلسفية.

ولم تكن الفلسفة يوماً منفصلة عن العلم، بل إن الثورة العلمية أتاحت المجال لدخول
الفلسفة في قلب الحقل العلمي من خلال مناقشة أبعاد الإنجازات العلمية، فالانفجار العلمي
في القرن التاسع عشر، بقي مدة طويلة وصيفاً تأملياً، وقد حاول هوايتهد إلقاء بعض الضوء
على الصلات الوثيقة بين العلم والفلسفة؛ إذ يقول: من شأن العلم والفلسفة أن يتبادلا النقد،
وأن يمد كل منهما الآخر بالمواد الخصبة التي تسمح له بالتقدم، وفي حين يقوم المذهب
الفلسفي بمهمة توضيح الحقيقة الملموسة التي يجردها العلم، تأتي العلوم فتتخذ مبادئها من
تلك الوقائع الملموسة التي يقدمها المذهب الفلسفي، كما أن إدراك القيمة الحضارية للنظريات
الفيزيائية الحديثة، وتأثيرها المتنامي في الإدراك والحياة الاجتماعية، قد أديا إلى ظهور حاجة
ماسة لتوضيح المحتوى الفلسفي للتصورات غير الكلاسيكية بصدد الواقع والسببية، الزمان
والمكان، إضافة إلى الحاجة الملحة لفهم ماهية الأفكار الفلسفية التي مهدت لظهور النسبية
والنظرية الكوانتية^(٢).

يقول أينشتاين:

يقوم النظام الكامل للفيزياء النظرية على المفاهيم والخلاصات التي يتم التوصل إليها
من خلال الاستنباط المنطقي، وهذه الخلاصات التي يتم التوصل إليها يجب أن ترتبط
بتجارنا المنفصلة، إن بنية النظام هي عمل العقل على المحتوى التجريبي لهذا النظام

١- المرجع نفسه، ص ٢٢.

2- http://www.maaber.org/issue_october17/epistemology1.htm.

وعلاقاته المتبادلة، وتكمن القيمة العظمى وشرعية كل نظام من إمكانية وجود مثل هذا التعبير، وخصوصاً بالنسبة للمفاهيم والقوانين الأساسية التي يحتويها، إن المنهج الفرضي الاستنباطي، ومبدأ الحرية في إنشاء المبادئ النظرية الأساسية لم يكونا خاصية الفيزياء النسبية فقط، بل إن الفيزياء إجمالاً تتبع هذا المنهج منذ نشأتها، وهو أيضاً ميزة التطور في التفكير الفلسفي المعاصر، لذلك لا يمكن أبداً فصل الخيال الفلسفي كمنهج تأملي، عن التفكير العلمي الإبداعي^(١).

وتنشأ الفلسفة من محاولات عنيدة يمارسها الإنسان للوصول إلى المعرفة الصحيحة، فإذا كان العلم يدرج الحقائق المتفرقة في قوانين تجمعها، فإن الفلسفة تأخذ منه قوانينه تلك لتجعل منها مادتها الخام التي منها تبدأ، وعليها تقيم بناءها.

أما العلاقة بين الفلسفة والعلم، فلا يوجد انفصال بين الفلسفة والعلم، وقد تجلت وحدة الفلسفة والعلم في كون تلك المعرفة النظرية كلية شاملة تقوم بالأساس على إنشاء التأليفات الذهنية التأملية التي تملأ الفجوات بين الملاحظات الاختيارية المبعثرة، فلقد كان الفيلسوف هو العالم، عالم الطبيعة، والطبيب، والفلكي والرياضي، والعالم هو الفيلسوف أو ما سُمي بالحكيم، وقد استمر الحال كذلك ما يقرب عشرين قرناً، أي حتى القرنين السادس عشر والسابع عشر، حيث بدأت العلوم تنفصل عن الفلسفة^(٢).

وبالنظر إلى تاريخ الفلسفة نجد أن هناك تفاعلاً مستمراً بين الحقائق العلمية والتفكير الفلسفي، بل إن الحقائق العلمية كثيراً ما كانت مادة للتأمل الفلسفي لمعرفة حقائق الأشياء ولوضع نظريات فلسفية في الكون والإنسان، فإذا كان العلم الطبيعي جزءاً لا يتجزأ من المعرفة الفلسفية التي اهتمت بإيجاد التفسيرات المناسبة لظواهر العلم الخارجي وتغيراته، فإن انفصال العلم الطبيعي عن الفلسفة لم يفصل علاقة التأثير المتبادل بينهما^(٣).

إن التقدم العلمي المطرد، بما ترتب عليه من تكنولوجيا متطورة، غير حياة الإنسان إلى الأفضل، مما جعل البعض يقلل من أهمية البحث الفلسفي، حيث أصبحت الأصوات تطالب الفلسفة بأن تنزل عن عرشها وتترك المكان للعلم، وكأنهما ضدان لا يجتمعان، وأن عصر الفلسفة قد انتهى وبدأ عصر العلم، وكأن العلاقة بينهما هي علاقة انفصال وتعارض^(٤).

1- http://www.maaber.org/issue_october17/epistemology1.htm.

٢- نايف بلوز: مناهج البحث في العلوم الطبيعية، مرجع سابق، ص ٤٨.
٣- بلحنافي جوهر: الفلسفة والعلم، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠١٢، ص ١٢١.
٤- المرجع نفسه، ص ١٢١.

ويؤكد رسل على ضرورة الربط بين الفلسفة والعلم، حيث يقول إن الفلسفة لا تختلف في جوهرها عن المعرفة العلمية، ولا تختلف النتائج التي تهتدي إليها الفلسفة في الأساس عن تلك التي يحصل عليها العلم، ولكن الميزة الأساسية للفلسفة، والتي تجعل منها دراسة متميزة عن العلم هي النقد، فهي تعرض المبادئ التي يستخدمها العالم، والتي تتجلى في الحياة اليومية للنقد الفاحص، وتبحث عما قد يكون فيها من تناقض، ولا تقبلها إلا بعد التمحيص الدقيق وبعد أن ينتفي كل سبب لرفضها، وعلى هذا فإن العلاقة بينهما هي علاقة تفاعل متبادل^(١).

فتأملات المدرسة الطبيعية الأولى ومحاولاتها لتفسير الطبيعة، استندت في الأساس على مشاهدات وحقائق علمية، إذ اعتقدت الفيثاغورية بأن المعرفة الحقة تكمن في صفات الأعداد، لهذا اقترنت بالرياضيات، وفلسفة أفلاطون نمت في جو علمي، فنظرية المثل ليست إلا منهجاً استدلالياً رياضياً، بحيث اعتبر الرياضيات معرفة صادقة، وهي التي تقربنا من عالم المثل، كما اهتم بالبحث عن كيفية تنظيم الكون، لأن دراسة الطبيعة تؤدي إلى معرفة القيم، ويصبح البحث عن أسس المعرفة وقيمتها وسيلة للبحث في سر تنظيم الكون، وبالتالي طريقة تنظيم المجتمع^(٢).

لا يمكن إنكار أهمية الفلسفة، ولكن التقدم العلمي جعل الكثير من العلماء يثرون عليها باعتبار أنها مجرد تساؤلات لا تنتهي، وليس لها أي أهمية، فهي تتعلق بالغيبيات، وقد يبالغ الفلاسفة في طرح الأسئلة، وبالتالي تصبح لا نهائية، لذا تم رفضها وإنكار مذهب إليه أنصار الموقف الأول.

الاتجاه المعارض للفلسفة وأهميتها:

وعلى الجانب الآخر يرفض الكثير من العلماء الفلسفة لعدة اعتبارات من أهمها: تسلسلها اللانهائي في طرح الأسئلة، ولكن التقدم العلمي مشروط بتقديم أجوبة واضحة في شكل نظريات وقوانين علمية صارمة، وهذا يعني أن التفكير الفلسفي لم يكن منتجاً رغم استحواده على الفكر الإنساني لقرون عديدة، وبالتالي كانت قيمة الفلسفة مثيرة للشكوك لأنها فكر غارق في التجريد، لا يمت للواقع بصلة، والمعرفة التي ليست معرفة علمية لا يمكن اعتبارها علماً بل جهلاً، بالإضافة إلى ذلك نجد في الفلسفة مغالاة في طرح الأسئلة التي تتعلق بالغيبيات والأمور الإلهية، والحديث عن الفلسفة في ظل التطورات العلمية يبدو غريباً بالنسبة لهم، نظراً لانتشار الاكتشافات العلمية، وتوسع دائرة العلم.

١- المرجع نفسه، والصفحة نفسها ١٢٤.

٢- المرجع نفسه، ص ١٢٥.

ولذلك تتعرض الفلسفة لعدة تحديات، بل وهجمات، شككت في قيمتها والجدوى منها، حيث تغطي العلوم التطبيقية والتقنية التي توفر المنافع والامتيازات التي تسهل أطوار الحياة، وأصبح يعاب على الفلسفة عدم يقينيتها وعدم موضوعيتها وكثيرا ما تُنعت بأنها ضرب من ضروب الثثرة والكلام الفارغ من أى معنى، وأحيانا أخرى يُنظر إليها نظرة المعرفة المستعصية، بل والمستحيلة، لاعتمادها على الغموض^(١).

فالفلسفة لدى البعض بعيدة عن الحياة، ولا تهتم بالمشاكل الآنية التي تؤرق الإنسان، لذلك يتساءلون عن فائدتها في حياتنا المعاصرة، خاصة بعد التقدم الكبير الذي شهدته العلوم والفنون، ويتساءلون عن الفائدة المنتظرة من الاطلاع على آراء قدماء الفلاسفة في اليونان وغيرها، وما يفيد الإنسان المعاصر من اطلاعه على آثار سقراط، وأفلاطون، وأرسطو؟ بل ماذا يجني من قراءته لأعمال ديكارت، وكانط، وهيغل؟^(٢)

كما يزور أن الفلسفة من المعارف التي يمكن الاستغناء عنها، لأن وسائل الاستقصاء فيها ضعيفة، والفيلسوف مجرد سفسطائي وثرثار ملازم لبرجه العاجي بعيدا عن واقع الناس ومشاكلهم اليومية، وفي أحسن الأحوال هو إنسان يستخدم عقله في الكشف عما هو عام ومجرد، وإن النتائج التي يصل إليها لن تعود بأية فائدة على الصناعة، والنقل، ومعالجة المرضى^(٣).

كما أن الفلاسفة أنفسهم أشد الناس اختلافاً في مواقفهم حول المسألة الواحدة؟ بل إنهم لم يتفقوا على تعريف موحد للفلسفة، ومختلفين أيضاً في مباحثها التي تتباين من فيلسوف إلى آخر، وليس لهم منهج واحد، وغياب المنهج الموحد يعنى بالضرورة الاختلاف في النتائج، لهذا ترى اللاحق منهم ينقلب على السابق، في حين أن الرجل العادى رجل الشارع يعرف ما يريد، ويعلم الطريق المؤدى إلى هدفه، وكذلك الأمر بالنسبة للعلماء الذين يعرفون عملهم وأهدافه، ويعرف المجتمع نفسه وظيفتهم، وينتظر منهم ما يخفف عن الناس متاعب الحياة^(٤).

إن الفلسفة على هذا ما هي إلا ترفاً فكرياً لن يمنح الغذاء، والسكن، والصحة لغيره، بدليل أن الفرد عندما تلم به المحن لن يتجه بأى حال من الأحوال إلى صيدلية الفلسفة، بل نجده يهرع إلى الطبيب إن مسه ضر في جسمه، ويبحث عن الفقهاء إن كان أمام معضلة شرعية، وهكذا بالنسبة لباقي الاحتياجات التي تفرض نفسها على الناس، الأمر الذي عزز الموقف الذي يحط من قيمة الفلسفه وينفي أن يكون لها دور في المجتمع.

١- بن عودة: قيمة الطرح الفلسفي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠١٢، ص ٢١١.
٢- عبد الغفار مكاوي: لم الفلسفة؟ منشأة المعارف الإسكندرية، د ط، ١٩٨١، ص ٥١.
٣- محمد عبد الرحمن مرحبا، المسألة الفلسفية، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٩٨٨، ص ١١-١٢.
٤- عبد الغفار مكاوي: لم الفلسفة؟ مرجع سابق، ص ٢٠.

ولكن مهما قال أعداء الفلسفة، ونسبوا إليها من نقائص وعيوب، ومهما كاد لها أعداؤها، تظل مشرقة متأقفة، لا يحول بينها وبين البحث عن الحقيقة حائل، أو يقف دون سعيها عائق، ولقد كتب ديكارت " إن الفلسفة تعنى دراسة الحكمة، ولا يراد بالحكمة الحيطة فى الأفعال وحسب، بل معرفة تامة بالأشياء كلها التى يمكن أن يعرفها الإنسان، وبما أنها تشمل كل ما يستطيع الفكر أن يعمل، لذا وجب الاعتقاد بأنها وحدها التى تميزنا عن أكثر الناس توحشاً وهمجية"^(١).

العلاقة التكاملية بين الفلسفة والعلم:

فالصلة بين النشاط العلمى والفعالية الفلسفية ذات ارتباط وثيق، إذ لا تتحدد الفلسفة عند باشلار إلا فى علاقتها بالعلوم، ولا تُعرف إلا بالوظيفة التى تقوم بها، فدور الفلسفة كان ذا أهمية كبرى، وتأثير المفاهيم الفلسفية فى نمو العلم وتقدمه كان يمثل التأثير الذى أحدثته التصورات العلمية فى نمو الفلسفة، إن الرابطة التى تشد العلوم إلى الفلسفة ليس رباطاً خارجياً، فالعلاقة التى تربط الفكر العلمى بالفلسفة هى علاقة جدلية، فهذا الرباط هو رباط داخلى يتكون فيه كل طرف بتفاعله مع الطرف الآخر، أى أن التفكير العلمى يتكون مع الفلسفة، فتاريخ الفكر العلمى لم يكن منفصلاً عن الفكر الفلسفى^(٢).

فانفصال العلوم عن الفلسفة لا يعنى تعارضهما، بحيث لا زال كل طرف يتغذى من الطرف الآخر وينمو ويتطور بالاستفادة من نتائجه وأبحاثه من غيره، ذلك أن كلا من التفكيرين الفلسفى والعلمى صادر عن العقل المتأصل فى الطبيعة البشرية، ولئن بدت صورتها متغايرة فى مرحلة تاريخية معينة، فإنه لا توجد مجالات بحث وتفكير يحتكرها نمط واحد من أنماط التفكير، وعلى هذا فلا وجود لقطيعة بين العلم والفلسفة؛ إذ لا يوجد علم مستقل عن الفلسفة كما لا يقوم فكر فلسفى خارج نطاق المعرفة العلمية، بحيث استفاد كل منهما من نتائج الآخر، ويثبت تاريخ العلم أن كل ثورة فكرية أو قفزة علمية جديدة كانت بانطلاق العلم من مبادئ التفكير الفلسفى^(٣).

وسواء فى العلم أو الفلسفة فإن الاختلاف يودى إلى مراجعة المعارف، ومن ثم تصحيحه والرقى بها نحو الأفضل، فتاريخ العالم يخبرنا أن نيوتن صحح آراء كوبرنيكس فى حركة الكواكب، ولم يُنظر إلى هذا على أنه اختلاف سلبي، ثم جاء اينشتين وقدم تصوراً

١- عزت السيد أحمد: دفاع عن الفلسفة (الفلسفة ثرثرة أم أم العلوم)؟، مرجع سابق، ص ٣١.

٢- بلحنافى جوهر: الفلسفة والعلم، مرجع سابق، ص ١٢٦.

٣- بلحنافى جوهر: الفلسفة والعلم، مرجع سابق، ص ١٢٩.

جديداً لحركة الكواكب بالاستناد لفكرة الزمكان، ثم أن التضارب الموجود بين الفلاسفة، نجد ما يقابله لدى العلماء والفقهاء، ومصدر الاختلاف هو طبيعة الذهن البشري نفسه⁽¹⁾.

أما نعت الفلسفة بأنها لا تهتم بمشاكل الإنسان العادي، فيمكن الرد عليه بأن الفيلسوف عندما يوجه نقداً لما هو سائد في مجتمعه سواء كان في السياسة أم الاقتصاد وغير ذلك، فإنه يكون قد انغمس في حياة الناس إلى أبعد الحدود، أما القول بأنه يهتم بالمجردات، فهذا لا ينقص من قيمة الفلسفة، لأن البحث لا ينبغي أن يقتصر على الماديات فقط من أكل، وشرب، ولباس، وسكن، وفضلا عن كل هذا، فإن الفلسفة ضرورية للعلماء لأنهم يفتقرون دائماً إلى أساس نظري ينطلقون منه، وهو ما تعمل الفلسفة على توفيره⁽²⁾.

وتبرز أهمية الفلسفة أكثر عندما نتتبع أسباب تقدم الشعوب وعوامل حضارتها، عندها سنجد أن الفلسفة والتفكير العقلي الحر يقف دائماً خلف هذه المنجزات، وقد تأكد لفلاسفة التاريخ أن الحضارات إذا مالت إلى السقوط، فلا بد أن يكون التفكير العقلي قد تراجع ودخل في سبات، فعلى سبيل المثال نجد الحضارة اليونانية الرومانية ما كانت لتظهر بهذه الصورة المبهرة لو لم تكن مسبقة بأفكار فلسفية، ثم أخذت هذه الحضارة في السقوط نتيجة لتراجع الفكر الحر فيها بداية من القرن الثاني قبل الميلاد، إلى أن سقطت نهائياً في القرن الخامس للميلاد⁽³⁾.

لا يمكن إنكار أدلة الطرفين وقبولها إلى حد ما بدليل أن العلاقة بين الفلسفة والعلم هي علاقة تداخل وتكامل، وتلاحم وظيفي، مما يثبت أن التفكير الفلسفي لا يمكن الاستغناء عنه، وبالتالي وجب التأكيد على أن الإنسان عليه أن يتمسك بالفلسفة والعلم معاً، فلا يلغى وجود أحدهما الآخر، وعليه فالعلاقة الفعلية بين الفلسفة والعلم هي علاقة تكامل، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على عدم إلغاء أهمية الفلسفة، فهي ضرورية لكل تفكير، وللعلم على وجه الخصوص حيث قيل في هذا الموضوع " الفلسفة تسأل والعلم يجيب "، ومن جهة أخرى نجد تطور الفلسفة هو الآخر مقروناً بمدى تقدم العلوم، ولكي تولد الفلسفة أو تجدد نشأتها لا بد لها من وجود العلم.

والفلسفة وليدة تدبر العقل البشري في الوجود، وفي البحث عن الجواهر الكامنة وراء الأعراض، ومحاولة إدراك المبادئ والعلل الأولى للموجودات، حيث يقول الفارابي عن دور الفلسفة: " لا يوجد شيء من موجودات العالم إلا وللحكمة فيه دخل، فالغاية من الفلسفة هي

1 - <http://elearning.univ-annaba.dz/mod/page/view.php?id=3800>.

2- <http://elearning.univ-annaba.dz/mod/page/view.php?id=3800>.

3 - Filosofia-nabilmeciad.eklablog.com/-c29532230.

تدوين العلوم لمعرفة موجودات العالم، وإيضاح أحوالها على ما هي عليه، وذلك من غير قصد آخر^(١).

إن تشعبات الطرح الفلسفي ومباحثه أدى إلى فسح المجال أمام منطق الاختلاف، وبرز أفكار متناقضة، ونظريات متباينة، ومذاهب متعددة، وما ذلك التنوع إلا صدى لصوت العقل الجامح والباحث عن المعرفة منذ بداية الخليقة، فالفلسفة ما هي إلا فعل بسيط يجيده كل إنسان عاقل، إنه فعل التفلسف الذي تنتجه الدهشة والحيرة أمام عوالم الكون وألغازه^(٢).

ويتضح مما سبق عرضه أنه لا يمكن إنكار أهمية الفلسفة، لأنها العقل الباطني الذي يحركه التفكير العميق القائم على التأمل واستمرارية حركة التفكير، وهذا يعني أنه لا غنى عن الفلسفة، لأن الهدف منها عموماً يتمثل في تحفيز العقول وتجاوز الجهل، وهذه المهمة اللانهائية تجعل الفيلسوف وفكره في اتصال مستمر مادام الإنسان كائنًا عاقلًا، لذا يقول باسكال: " كل تهجم على الفلسفة هو تفلسف في حد ذاته ذاته".

والعلوم التخصصية ذاتها، تثير تساؤلاتها الفلسفية التي قد تدخل في صميم استنتاجاتها التجريبية والنظرية، في الفيزياء مثلاً: هل الإلكترون موجة أم جسيم، أم كلاهما، أم لا هذا ولا ذلك، بل هي اسقاط لتصوراتنا التي نراها من خلال الآلات التي اخترعناها لهذه الغاية؟ كيف نتعامل مع الاحتمالات؟ وفي علم الكونيات: هل الكون محدود؟ هل هو لامتناه؟ ماذا بعد الثقب الأسود؟ ماذا يعني الزمن والتزامن؟ ما الانفجار الكبير؟ وما الذي حدث قبله؟ ما الذي يشكل الطاقة السالبة والمادة العاتمة في الكون؟ ما جسيمات الجاذبية؟ وفي البيولوجيا أيضاً: هل التطور اختزالي قائم على متواليات جينية، أم طفرات شمولية؟ هل نظرية غايا تفسر آلية تفاؤلية للعلاقة بين الأرض والحياة، أم أن التطور قائم على أساس الصراع بين الأنواع؟ هل هناك ذكاء اصطناعي؟ في علم النفس كذلك: كيف نفهم اللاوعي؟ الذات؟ العقل والتفكير؟ هل الإرادة حرة أم ضرورة؟ ما الإدراك - الحدس - الجنون؟ إن المسائل التي أثارها النقد الداخلي للعلوم الطبيعية، هي مسائل ذات طبيعة فلسفية عريقة، ما طبيعة الزمان والمكان، وما الحركة؟ كيف يمكن تطبيق التصورات الهندسية؟ إن عالم الطبيعة الذي يتخذ موقفاً نقدياً من علمه القائم، ويحلل الأسس والمبادئ تحليلاً نقدياً ليجيب عن مثل تلك المسائل الفلسفية، لا يغدو عالماً طبيعياً وحسب، بل إنه يصبح عندها فيلسوفاً يفلسف أو

١- بن عودة: قيمة الطرح الفلسفي، مرجع سابق، ص ٢١٢.
٢- المرجع نفسه.

يُقوم علمه، كما يسهم معه الفيلسوف في مناقشة وتحليل تلك المسائل الفلسفية العريقة في قدمها عند الفلاسفة^(١).

فالعلاقة بين العلم والفلسفة علاقة جدلية، بحيث إن العلم يتضمن دائماً فلسفة قد تسبقه أو تلحقه، وعلى هذا فللفلسفة مكانتها في الفكر العلمي، فالفلسفة قادرة على أن تقدم للعلم رؤية حول العالم، لذا يحدث اتفاق الفيلسوف والعالم في الموضوعات المشتركة، مثل خصائص المادة، والقوة، والزمان، والمكان، غير أن تناولهما لها تبقى مختلفة^(٢)، وتسعى الفلسفة إلى تفسير وتعليل وفهم ماهية الكون في كليته وشموله، وتضع المبادئ والتساؤلات، ثم يجزئ العلم تلك المبادئ والتساؤلات إلى أجزاء ويؤسس عليها، وعليه فوحدة الأجزاء تعود إلي وحدة الكل، أي أن وحدة العلوم الجزئية ما هي إلا وحدة الفرض الفلسفي الذي تصدر منه وإليه تعود^(٣).

إذا ما تخليت عن فعل التفلسف، فإنك بذلك تتنازل عن كونك إنساناً عاقلاً يجيد وحده فعل التفكير، الفلسفة تسمو بنا فوق ذواتنا، وتهبنا الشعور بالوجود العميق، وتتوغل بنا في حقائق الموجودات، وحسب ابن سينا الفلسفة هي الوقوف على الحقائق كلها على قدر ما يمكن الإنسان أن يقف عليه، ليس على الفلسفة طلب الموضوعية بخلاف علوم الطبيعة، لأن آلية النقد هي جوهر الفلسفة، ومحركها، وانطلاقاً من هذه الآلية يرفع شعار لا مجال إلا لصيرورة التفكير، إن قيمة الفلسفة تلتصم فيما هي عليه من عدم اليقين بالذات، فعدم الوصول إلى اليقين يعتبر فتحاً لكل الإمكانيات، وكل تخارج للأفكار والآراء، إنه انفتاح على كل تجديد ممكن، أما الشخص الذي ليس له نصيب من الفلسفة، يمضي في حياته أسير أحكام مسبقة، وما نشأ في ذهنه من آراء لم يصل إليها من عقل متدبر أو نقد محمص^(٤).

إن الفلسفة وإن كانت عاجزة عن أن تهدينا على وجه اليقين إلى جواب ثابت لما تثيره من شكوك، فهي قادرة على أن توحى بكثير من صور الإمكان التي توسع عقولنا وتحررها من العرف والتقاليد، فهي إن أنقصت من شعورنا باليقين تجاه الأشياء كما هي، زادت في معرفتنا بالأشياء كما قد تكون، إن تجاوز مطلب الموضوعية في الطرح الفلسفي يعتبر ميزة تتميز بها الفلسفة في مقابل العلوم الطبيعية وليس عيباً أبداً^(٥).

1- www.maaber.org/issue_october17/epistemology1.htm

٢- بلخافي جوهر: الفلسفة والعلم، مرجع سابق، ص ١٢٩.
٣- كرابيفين: ما هي المادية الديالكتيكية؟ ترجمة إلياس شاهين، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٦، ص ٤٠٩.
٤- بن عودة: قيمة الطرح الفلسفي، مرجع سابق، ص ٢١٤.
٥- المرجع نفسه، ص ٢١٥.

لقد كان هناك إنتاج فائض من الفروض الفلسفية على الحدود البعيدة للمعرفة العلمية، غير أن هذا الفائض قد أتاح لتقدم العلم مزيداً من المرونة وحرية الحركة، فمن الثابت تاريخياً أن حصداً كبيراً من الأفكار التي أسهمت في هذا التقدم العلمي قد جُنِي من بين كثير من المناقشات الفلسفية.

ويمكن القول إن الفلسفة والعلم ليس أحدهما غريباً عن الآخر، فالفلاسفة مشغولون منذ أقدم العصور بالعالم الطبيعي في محاولة فهمه وتفسيره على قدر ما أوتوا من معطيات وأدوات، بينما الفلاسفة حديثاً يعتمدون على زملائهم العلماء في النهل من العلم الخاص بهم ومحاولة الاستفادة منه في بناء نسقهم الفلسفي، وكثيراً ما يخرج العلماء من ميدان بحثهم العلمي تجذبهام مشكلات الفلسفة، ويحاولون تكوين مواقف فلسفية تتسق ونتائج بحثهم، كما ينهلون من تراث الفلاسفة، وبذلك يهتم الفلاسفة بأبحاث العلماء كما يهتم العلماء باتخاذ مواقف فلسفية تتسق ونتائج بحثهم^(١).

فالعلم، كمنتج إنساني هو استجابة عن حالة اغتراب كائن يرى نفسه وحيداً في اتساع لامتناه من اللامعرفة. أما التصور الفلسفي، فإنه يعيد قراءتنا لكثير من موضوعات العلم، ويلغي الرغبة الاختزالية التي انطلقت من قوانين الفيزياء وتم تعميمها على بقية العلوم. إن الفلسفة - في أحد معانيها - ليست معرفة، بل فهما، ولما كان الفهم إنما يعني أن العالم يقبل التعقل، فإن مبدأ السبب الكافي هو الفرض الضروري الذي تقوم عليه كل فلسفة، وعبثاً يحاول البعض أن يرفع عن الفلسفة صبغتها العقلية، إذ لا يمكن أن تقوم فلسفة ضد العقل، كما لا يوجد فن ضد الجمال.

وتستهدف الأنسقة العلمية، من الناحية الفلسفية دعم الانتظام التفسيري والتنبؤي ضمن معطيات الخبرة الغاية في التعقيد، أي الظواهر التي يمكن ملاحظتها مباشرة من قبلنا، لذا فإنه من الملفت للنظر أن التقدم الهائل الذي تم إحرازه في الأنسقة العلمية، لم يُنجز عبر قوانين تشير صراحة إلى ما يمكن ملاحظته، أي إلى أشياء يمكن التحقق منها عبر الملاحظة المباشرة، بل عبر قوانين تتحدث عن مختلف الكينونات الفرضية أو النظرية، أي أشياء وحوادث وخصائص مفترضة لا يمكن لنا إدراكها أو ملاحظتها بطريقة مباشرة، أو بأي طريقة أخرى^(٢).

١- المرجع سابق، ص ٢١٧.

2- http://www.maaber.org/issue_october17/epistemology1.htm.

وإذا كان التمايز بين الفلسفة والعلم شرطاً لقيام علاقة بينهما، فإن ذلك التمايز هو جوهر هذه العلاقة من حيث هي علاقة تكامل سيان في المجال أو الوظيفة، أي تكامل بين الخاص والعام، ولعل ذلك التكامل هو الذي يفسر الشكل الديالكتيكي الجدلي للعلاقة بينهما والتي تظهر جلية في مجموع موضوعات فلسفة العلم، فلسفة العلم تدرس مختلف جوانب العلم من حيث وظائفه وتطوره، ومن كونه نسقاً من المعارف، وميداناً من النشاط البشري، فإنها تعتبر مشكلات تطور العلم مكاناً محورياً بالنسبة إليها، فضلاً عن تنافى المعارف العلمية، وتبدل النظرات العلمية وغيرها، وفي التنافى والتبدل في النظرات العلمية تظهر خطابات علمية مغايرة للخطابات المبنية على النتائج المسبقة والمعالجة تستدعي النظر الفلسفي في هذا المقام، حيث تنشط فلسفة العلم من حيث إنها حركة نقدية تتناول بالفحص والتدقيق مبادئ وأسس أي نسق علمي، ومن ثم علاقتها بالنظريات والنتائج المترتبة عليها، فضلاً عن فحص وتحليل بعض المفاهيم التي يستند إليها العلماء في دعم استدلالاتهم^(١).

وغنى عن البيان، أن تستوجب كل نظرية أو ثورة علمية نظرة فلسفية جديدة إلى الكون من ناحية، وتحدد وظيفة الأسئلة التي يحق للعلماء أن يطرحوها حول الطبيعة من ناحية أخرى، فكل نظرية أو اكتشاف جديد يثير تساؤلات فلسفية حول العالم، والإنسان، والمعرفة وحدودها، وهذا ما يسمح لنا بفهم أعمق للأبعاد الفلسفية للعلم السائد الذي ينجم عنه مجموعة من الخطابات العلمية ذات الصيغة الفلسفية من حيث المضامين سواء أكانت أنطولوجية أم ابستمولوجية أم حتى أكسيولوجية، فلا يخلو أن يكون مضمون هذه الخطابات ذا صلة بأحد هذه الجوانب الثلاثة، والتي تعد من أهم مباحث الفلسفة.

وبالتالي يكون البحث الفلسفي في تحليله لهذا الخطاب أو ذاك راجع لطبيعة هذه النصوص التي استدعت النظرة الفلسفية، أو الأجدد بنا القول إن تداعي هذه الخطابات عن الاكتشافات والاختراعات والنظريات العلمية رمى بها في أحضان النقد الفلسفي، لعجز العلم عن تدبر أمرها^(٢).

والسؤال عما الذي يريده المجتمع من العلم، وتحديد الأولويات من حيث اهتمام الناس، كل هذا يمثل جزءاً من فلسفة العلم، كذلك أثر البنية الاجتماعية في تفضيل العلماء لتفسير نظرية علمية على أخرى، بمعنى أن قيم المجتمع ومفاهيمه هي التي توجه وتحدد بشكل غير مباشر ما يجب وما لا يجب أن يقبله العلماء من حقائق، كما أن فلسفة العلم هي المختصة

١- مختارية مقدم: بين الفلسفة والعلم (الخطاب محور الجدل)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠١٢، ص ٢٣٩.
٢- المرجع نفسه، ص ٢٤٠.

بالتقويم الأخلاقي للدور الذي يقوم به العالم، ومدى مسؤوليته عن الاستخدام السياسي والاستراتيجي للنظريات العلمية^(١).

ونرى أهمية الفلسفة في العلم، كونها تدخل في صميم التصور الفكري الذي يقدم تصورًا شموليًا منظمًا من وقائع متعددة بشكل هائل، ذلك أن العثور على نظرية موجزة ومتسقة تستخلص من خضم نتائج التجارب لهو صراع هائل، فإن الفلسفة لا بد أن تضاف إلى العلم لكي تُذكر الإنسان أنه لا يحيا في الطبيعة إلا لكي يتجاوزها ويعلو عليها، وربما كانت رسالة الفيلسوف الأولى أن يتوجه نحو أولئك الذين لا ينشدون سوى المنفعة، ولا يهتمون إلا بالنتائج العملية.

ومن خصائص روح التفكير العلمي التي يشترك فيها مع الفلسفة، هي خاصية البحث الحر، فالعالم لا يقيم دعاويه على أية سلطة، دينية كانت أم اجتماعية، بل هو ينأى بنفسه مكتفياً بالخضوع ليقين العقل، وصرامة المنهج التجريبي، لاشك أن الفيلسوف حين يحرص على الاستناد إلى سلطة العقل وشهادة التجربة، فإنه يتحلى بتلك الروح العلمية القائمة على البحث الحر والاستقلال العقلي، ولا يجب أن ننسى أن كل اكتشاف علمي كان يكمن في القدرة على تجاوز ما هو متوقع، وامتلاك المرونة لفهم تطور الحياة والفكر البشري، فطبيعة العلم والأعمال الكبرى تأتي من أولئك الذين يجازفون بأنفسهم خارج المسار التقليدي، ولا يخشون ظهور ما هو غير منتظر، وتجبر الصعوبات الحالية للعلم العالم الفيزيائي على الالتصاق بالفلسفة بدرجة أكبر من الجيل السابق^(٢).

ويمكن القول أن الفلسفة مثل الموسيقى، فإن كلاً منهما لا يكاد يتمتع إلا بقسط ضئيل من الوجود، فضلاً عن أنه ليس أيسر من الاستغناء عنها في المنافع العملية، ولكن من يستغنى عن الموسيقى أو الفلسفة إنما يفتقد شيئاً، وإن لم يكن في وسعه أن يعرف على وجه التحديد ما الشيء الذي يفتقده.

أهمية فلسفة العلم للعلوم المختلفة:

اختلف الباحثون في هذا المجال في تحديد المعنى المقصود بعبارة فلسفة العلم، لكنهم متفقون على أن فلسفة العلم ليست جزءاً من العلم ذاته، وإنما هي ذلك الفرع من الفلسفة الذي يستهدف فحص العلم وتحليله بطريقة نقدية. وكذلك تسعى فلسفة العلم إلى فهم أهداف العلم ومناهجه ومبادئه وتطبيقاته وإنجازاته. إن فلسفة العلم ليست مبحثاً ضئيل

١- المرجع نفسه، ص ٢٤١.

2- http://www.maaber.org/issue_october17/epistemology1.htm.

الشأن، بل إن فلسفة العلم كثيراً ما تمس مجالات مهمة في العلم. فعلى سبيل المثال، نجد أن فلسفة العلم على علاقة وثيقة بعلم النفس التجريبي، وأن نظريات العلوم السياسية تتقاطع مع علم الاقتصاد. وهكذا فإن فلسفة العلم تقيم جسراً متيناً بين البحث الفلسفي والبحث العلمي. لقد ربطت فلسفة العلم نفسها أكثر فأكثر، لا بمجرد قضايا عامة عن طبيعة العلم وصحته، وإنما ارتبطت بالقضايا التي نشأت عن العلم، وتمس بشكل مباشر حياة الناس، حيث تتعامل الفلسفة مع الأسئلة التي لا تستطيع العلوم الإجابة عليها أبداً، وكذلك سبب عدم قدرة العلوم على الإجابة عن هذه الأسئلة، فهناك أسئلة علمية لا يمكن تسويتها إلا بحجة فلسفية، علاوة على ذلك، فإن الطريقة التي يجب أن يسير بها العلم في محاولاته للإجابة عن الأسئلة التي لم تتم الإجابة عنها حتى الآن، هي أيضاً مسألة نقاش فلسفي، وهذا يجعل الفلسفة لا مفر منها للعلماء⁽¹⁾.

فلسفة العلم فرع من فروع الفلسفة الذي يتحدث عن العلم، ففلسفة العلم تتناول أنطولوجيته، وإبستمولوجيته، وكذلك أكسيولوجيته، فضلاً عن ربط ذلك جميعاً بمنظور شامل يحدد للعلم مكانته الخاصة بين سائر الفاعليات الإنسانية⁽²⁾، وفلسفة العلم، تركز اهتمامها بمنطق ومنهج العلم خصائص وشروط المعرفة العلمية وكيفية تقدمها، وكافة العوامل التي تساهم في عملية التقدم، حيث إن فلسفة العلم تقدم آليات معرفية ومنهجية في سبيل تشكيل العقل، لتمكينه من حل كافة المشاكل التي تعترضه، ثم إزالة العقبات التي تعرقل المسيرة العلمية التقدمية، وتعتبر فلسفة العلم مبحثاً أساسياً من المباحث الفلسفية، إضافة لهذا فهي الأصدق تعبيراً عن روح عصر العلم الذي تضاعفت فيه المعارف العلمية بشكل كبير، فهي تقدم رؤية نقدية وتصويبية تهدف في مجملها إلى تشكيل طوق نجاة في مرحلة بناء عقلية علمية منشودة.

كما أن فلسفة العلم المعاصر لا تهتم فقط بالعلم كما يجب أن يكون، بل إنها تهتم بالعلم كما هو، كما تطور ويتطور بالفعل، ولذلك فإن فلسفة العلم ليست مجرد تكرار لما يقوله العلماء ويفعلونه، ولكنها أيضاً التبرير العقلاني والمنطقي لأقوالهم وأفعالهم، ومن ثم لا تتعلق فلسفة العلم بالنظريات أو المبادئ في مجملها فقط، بل إنها تتعلق بالتفاصيل المفاهيمية المكونة لها أيضاً، لكي تؤدي إلي الوضوح المفاهيمي⁽³⁾.

1- Alex Rosenberg: Philosophy of Science A Contemporary Introduction, Rutledge, New York, 2005, p 2.

٢- صلاح قنصوه: فلسفة العلم، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨١، ص ٢٥

3- Hanson N.R: The Irrelevance of History of Science to Philosophy of Science, in: What I Do not Believe and Other Essays, eds, by Stephen Toulmin and Harry Wolf, Redial publishing company, Dordrecht, Holland, 1971, P281.

الخاتمة:

العلاقة بين العلم والفلسفة ليست علاقة خصومة كما يعتقد البعض، فالخصومة أبعد ما يتصف بها المجال الفلسفي والمجال العلمي، والنقد وممارسته كأساس لمنهج الفيلسوف لا يتعارضان مع منهج العالم في تحقيقه من الأسباب والعوامل المؤثرة لحدوث ظاهرة بعينها، فالعالم لا يسلم جدلاً، بل يمحص الفرض بالتجربة والملاحظة، والفيلسوف كذلك يشك دائماً في الأفكار المسبقة والمسلمات، ويتأملها منطقياً بمحك العقل والاستدلال، فليس هناك تنافر أو تباعد عن حياة الفيلسوف وموضوعية العالم ووضوح فكرته، لذلك فالفلسفة هي صدى للأفكار العلمية المعاصرة لها، فكل تحول أو نشأة يعرضها الفكر العلمي، تكون لها آثارها في الفكر العلمي المعاصر لها، فيتأثر بالتحولات العلمية المرافقة له، لذلك يريد الفكر الفلسفي إعادة النظر في أسسه، بإدخال نتائج العلم واحتوائها من جانب المذهب الفلسفي، لذلك تصبح قضايا العلم هي نفسها التي تثيرها الفلسفة، لكنها إثارة لا يكون الهدف منها البحث العلمي فحسب، بل معالجتها من منظور النسق الفلسفي.

مراجع البحث:

- ١- أثير محسن الهاشمي: آلية المفارقة (تعريفها، أنواعها، طريقة بنائها)، مجلة ثقافتنا، بغداد، ٢٠١٣.
- ٢- أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، منشورات عويدات، بيروت- باريس، ط١، ١٩٩٦.
- ٣- بلحنافي جوهر: الفلسفة والعلم، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠١٢.
- ٤- بن عودة: قيمة الطرح الفلسفي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠١٢.
- ٥- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، ج ٢، ط ١، ١٩٧٣.
- ٦- صلاح قنصوه: فلسفة العلم، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨١.
- ٧- عبد الغفار مكاوي: لم الفلسفة؟ منشأة المعارف الاسكندرية، د ط ، ١٩٨١.
- ٨- عزت السيد أحمد: دفاع عن الفلسفة (الفلسفة ثرثرة أم أم العلوم؟)، دار الأصالة للطباعة، دمشق، د.ت.
- ٩- علي أحمد الصباحي: مفهوم وحدة العلوم في فلسفة كل من أوتونويراث وكارناب، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٩٥.
- ١٠- كرابيفين: ما هي المادية الديالكتيكية، ترجمة إلياس شاهين، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٦.
- ١١- محمد عبد الرحمن مرحبا، المسألة الفلسفية، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٨٨.
- ١٢- مختاربه مقدم: بين الفلسفة والعلم (الخطاب محور الجدل)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠١٢.
- ١٣- نايف بلوز: مناهج البحث في العلوم الطبيعية، مطبعة الإنشاء، دمشق، ١٩٨٥.
- 14-Alex Rosenberg: Philosophy of Science a Contemporary Introduction, Rutledge, New York, 2005.
- 15-Hanson N.R: The Irrelevance of History of Science to Philosophy of Science, in: What I do not Believe and Other Essays, eds, by Stephen Toulmin and Harry Woolf, Redial publishing company, Dordrecht, Holland, 1971.

مواقع إلكترونية:

- 1- filosofia-nabilmeiad.eklablog.com/-c2953223.
- 2- <http://elearning.univ-annaba.dz/mod/page/view.php?id=3800>.
- 3- http://www.maaber.org/issue_october17/epistemology1.htm
- 4- <https://elaphmorocco.com/Web/opinion/2018/03/20502.htm>.

|

